محمود سامي البارودي

١٨٤٠- ١٩٠٤

محمود سامي البارودي هو إمام الشعراء المحدثين قاطبة، وباكورة الإعلام في دولة الشعر الحديث، وأول من نهض به وجارى في نظمه فحول الشعراء المتقدمين، فبعث النهضة الشعرية من مرقدها بعد طول الخمود.

ولد سنة ١٨٤٠، وهو ابن حسن بك حسني من ضباط المدفعية في الجيش المصري، وحفيد عبد الله الجركسي أحد الكشاف في عهد محمد علي، وسمي البارودي نسبة إلى إيتاي البارود التي كان أحد أجداده الأمير مراد البارودي ملتزماً لها في عهد الالتزام.

وقد تلقى العلم أول ما تلقاه على أيدي أساتذة خصوصيين في سراي والده بغيط العدة (القريبة من باب الخلق) والمعرفة بسراي البارودي، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره انتظم في المدرسة الحربية، وتخرج منها سنة ١٨٥٥، والتحق بخدمة الجيش المصري، وأخذ يترقى حتى بلغ رتبة أميرالاي، وخاض غمار الحروب في ثورة كريد سنة ١٨٦٦، إذ كان ضابطاً في الجيش الذي أنفذته مصر لإخماد تلك الثورة وانتصر على الثوار في مواقع عدة.

ولما شبت الحرب بين تركيا وروسيا سنة ١٨٧٧ أنفذت مصر جيشاً لنجدة تركيا كان البارودي من ضباطه، وأبلى في الحرب بلاء حسنا، وصقلت المعارك مواهبه الشعرية، ولما عاد على مصر رقى إلى رتبة اللواء، وعين مديراً للشرقية، وكان محافظاً للعاصمة حين ألف شريف باشا وزارته الثانية سنة ١٨٧٩ في أوائل عهد الخديوي توفيق، فاختاره فيها وزيراً للمعارف والأوقاف، واشترك في حوادث الثورة العرابية، وكان من زعمائها المشار إليهم بالبناء، وتولى

رئاسة وزارة الثورة سنة ١٨٨٢، ثم كانت الهزيمة، ونفى مع زملائه إلى جزيرة سيلان (سرنديب) وظل في منفاه نيفاً وسبعة عشر عاماً، وأسبغ عليه النفي سمات التضحية والبطولة [١].

الحنين إلى الوطن

كانت حياة زعماء الثورة العرابية في منفاهم حياة ألم وحزن، إذ انقطعت صلتهم بالناس، وطال اغترابهم عن أرض الوطن، وبعدت الشقة بينهم وبين أهليهم ومواطنيهم، ولم يكترث لم أحد، ولم يعطف عليهم أحد (والناس مع الغالب!)، وجادت قريحة البارودي بشعر مؤثر في الحنين إلى الوطن، والحزن على فراقه، مما يعد آية في البلاغة، وبلغت سليقته الشعرية في منفاه ذروة العظمة والجلال.

قال يصف الرحيل عن أرض الوطن:

محا البين ما أبقت عيون المها مني ... فشبت ولم أقض اللبانة من سني
عناء ويأس واشتياق وغربة ... ألا شد ما ألقاه في الدهر من غبن

إلى أن قال:

ولما وقفنا للوداع وأسبلت ... مدامعنا فوق الترائب كالمزن
أهبت بصبري أن يعود فبزني ... وناديت حلمي أن يثوب فلم يغن
وما هي إلا خطوة ثم أقلعت ... بنا على خطوط الحي أجنحة السفن
فكمن مهجة من زفرة الشوق في لظي ... وكم مقلة من غرزة الدمع في دجن
وما كنت جربت النوى قبل هذه ... فلما دهتني كدت أقضي من الحزن
ولكني راجعت حلمي وردني ... إلى الحزم رأي لا يحوم على أفن
ولولا بنيات وشيب عواطل ... لما قرعت نفسي على فائت سني

---

(١) راج ترجمته تفصيلاً في كتاب (الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي).

الصبر على الشدائد

وتجلت في منفاه صفاته العالية من الشمم، وعلو النفس و احتمل آلام النفي بشجاعة وإباء، وصبر وإيمان، وله في ذلك شعر يفيض بهذه المعاني السامية.

قال وهو في سرنديب (سيلان):

لم أقترف زلة تقضي علي بما ... أصبحت فيه فماذا الويل والحرب؟
فهل دفاعي عن ديني وعن وطني ... ذنب أدان به ظلماً وأغترب؟
فلا يظن بي الحساد مندمة ... فإني صابر في الله محتسب
أثريت مجداً فلم أعبأ بما سلبت ... أيدي الحوادث مني فهو مكتسب
لا يخفض البؤس نفساً وهي عالية ... ولا يشيد بذكر الخامل النشب [1]

وقال مشيراً إلى مصادرة أملاكه:

يا ناصر الحق على الباطل ... خذ لي بحقي من يدي ماطلي
أخرجني عما حوته يدي ... من كسبي الحر بلا ناطل [2]
من غير ما ذنب سوى منطق ... ذي رونق كالصارم القاطل [3]
فإن أكن جردت من ثروتي ... ففضل ربي حلية العاطل

وقال من قصيدة أخرى في مقاومة الظلم والصمود أمام المحن والخطوب:

إذا المرء لم يدفع يد الجور إن سطت ... عليه فلا يأسف إذا ضاع مجده
ومن ذل خوف الموت كانت حياته ... أضر عليه من حمام يؤده
وأقتل داء رؤية العين ظالماً ... يسئ ويتلى في المحافل حمده
علام يعيش المرء في الدهر خاملاً ... أيفرح في الدنيا بيوم يعده؟
عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعش ... بها بطلاً يحمي الحقيقة شدُّه

---

(١) النشب: المال والعقار.

(٢) الناطل: الشيء القليل.

(٣) القاطل: القاطع.

وقال في هذا المعنى:

أمطـــري لؤلـــؤاً جبـــال (سرنديـــ ـــب) وفيضـــي آبـــار (تكـــرور) تبـــرا
أنـــا إن عشـــت لســـت أعـــدم قوتـــا وإذا مـــت لســـت أعـــدم قبـــراً
همتـــي همـــة الملـــوك ونفســـي نفـــس حـــر تـــرى المذلـــة كفـــراً

ومن قوله في الحنين إلى الوطن والصبر على الشدائد:

فيـــا دمـــوع القطـــر ســـيلي دمـــاً ويـــا بنـــات الأيـــك نـــوحي معـــي
وأنـــت يـــا نســـمة (وادي) الغضـــا مـــرى بريـــاك علـــى مربعـــي
وأنـــت يـــا عصـــفورة المنحنـــى بـــالله غنـــي طربـــاً واســـجعي
وأنـــت يـــا عـــين إذا لـــم تفـــي بذمـــه الـــدمع فـــلا تهجعـــي
أبيـــت أرعـــى الـــنحم فـــي ســـدفة ضـــل بهـــا الصـــبح فلـــم يطلـــع

***

فهـــل إلـــى الأشـــواق مـــن غايـــة أم هـــل إلـــى الأوطـــان مـــن مرجـــع؟
لا تـــأس يـــا قلـــب علـــى مـــا مضـــى لا بـــد للمحنـــة مـــن مقطـــع

يتمنى أن يرى مصر

وقال في منفاه يتمنى أن يرى مصر:

يـــا حبـــذا جرعـــة مـــن مـــاء محنيـــة وضـــجعة فـــوق بـــرد الرمـــل بالقـــاع [1]
ونســـمة كشـــميم الخلـــد قـــد حملـــت ريـــا الأزاهـــر مـــن ميـــث وأجـــراع [2]
يـــا هـــل أرانـــي بـــذاك الحـــي مجتمعـــاً بأهـــل ودي مـــن قـــومي وأشـــاعي؟

---

(١) المحنية: ما انحنى من الأرض.

(٢) الميث: جمع ميثاء الأرض اللينة.

وقال في هذا المعنى:

أبيت حزيناً في (سرنديب) ساهراً ... طوال الليالي والخليون هجد
إذا حطرت من نحو (حلوان) نسمة ... نزت بين قلبي شعلة تتوقد
شباب وإخوان رزئت ودادهم ... وكل امرئ في الدهر يشقى ويسعد!

ومن قصيدة له في هذا المعنى قالها في منفاه يتشوق إلى الوطن:

هل من طبيب لداء الحب أوراقي ... يشفي عليلاً أخا حزن وإيراق [1]
قد كان أبقى الهوى من مهجتي رمقاً ... حتى جرى البين فاستولى على الباقي

وفيها يقول:

يا روضة النيل لا مستك بائقة ... ولا عدتك سماءً ذات إعداق [2]
ولا برحت من الأوراق في حلل ... من سندس عبقري الوشي براق
يا حبذا نسم من جوها عبق ... يسري على جدول بالماء دفاق
مرعى جيادي ومأوى جيرتي وحمي ... قومي ومنبت آدابي وأعراقي
أصبوا إليها على بعد ويعجبني ... أني أعيش بها في ثوب إملاق
وكيف أنسى ديار قد تركت بها ... أهلاً كراماً لهم ودي وإشفاقي

* * *

فيا بريد الصبا [3] بلغ ذوي رحمي ... أني مقيم على عهدي وميثاقي
وأنت يا طائراً يبكي على فنن ... نفسي فداؤك من ساق إلى ساق
أذكرتني ما مضى والشمل مجتمع ... بمصر الحرب لم تنهض على ساق

---

(١) الراقي: اسم فاعل من رقاه يرقيه أي عوذه فهو راق.

(٢) البائقة: الداهية والبلية. ولا عدتك، أي لا تجاوزتك.

(٣) الصبا بالفتح: ريح معروفة.

وقال أيضاً في منفاه:

ردوا علـى الصـبا مـن عصـري الخـالي ... وهـــل يعـــود ســـواد اللمـــة البـــالي؟
مـاض مـن العـيش مـا لاحـت مخايلـه ... فـــي صـــفحة الفكـــر إلا هـــاج بلبـــالي
أدهـــى المصـــائب غـــدر قبلـــه ثقـــة ... وأقـــبح الظلـــم صـــد بعـــد إقبـــال

* * *

لا عيـب فـي سـوى حريـة ملكـت ... أعتنـــي عـــن قبـــول الـــذل بالمـــال
قلبـــي ســـليم ونفســـي حـــرة ويـــدي ... مأمونـــة ولســـاني غيـــر ختـــال
بلـوت دهـري فمـا أحمـدت سـيرته ... فـــي ابـــق مـــن لياليـــه ولا تـــالي
حليـت شـطريه مـن يسـر ومعسـرة ... وذقـت طعميـه مـن خصـب وإمحـال
لـم يبـق لـي أرب فـي الـدهر أطلبـه ... إلا صـــحابة حـــر صـــادق الخـــال
وأيـن أدرك مـا أبغيـه مـن وطـر؟ ... والصـدق فـي الـدهر أعيـا كـل محتـال
لا فـي (سـرنديب) لـي إلـف أجاذبـه ... فضـل الحـديث ولا خـل فيرعـى لـي
أبيـت منفـردا فـي رأس شـاهقة ... مثـل القطـامي فـوق المربـأ العـالي
إذا تلفـت لـم أبصـر سـوى صـور ... فـــي الـــذهن برمســـها نقـــاش آمـــالي

* * *

عـــلام أجـــزع والأيـــام تشـــهد لـــي ... بصـدق مـا كـان مـن وسـمى وإغفـال
راجعـت فهـرس أثـاري فمـا لمحـت ... بصـيرتي فيـه مـا يـزري بأعمـال
فكيـف ينكـر قـومي فضـل بـاردتي ... وقـد سـرت حكمـي فـيهم وأمثـال
أنـا ابـن قـولي وحسـبي فـي الفخـار بـه ... وإن غـــدوت كـــريم العـــم والخـــال
ولـــي مـــن الشـــعر آيـــات مفصـــلة ... تلـــوح فـــي وجنـــة الأيـــام كالخـــال
ينسـى لهـا الفاقـد المحـزون لوعتـه ... ويهتـــدي بســـناها كـــل قـــوال
فـانظر لقـولي تجـد نفسـي مصـورة ... فـــي صـــفحتيه فقـــولي خـــط تمثـــالي
ولا تغرنـــك فـــي الـــدنيا مشـــاكلة ... بـــين الأنـــام فلقـــيس النبـــع كالضـــال
إن ابـــن آدم لـــو لا عقلـــه شـــبح ... مركـــب مـــن عظـــام ذات أوصـــال

ومن قصيدة له يتشوق إلى مصر:

خليلي هذا الشوق لا شك قاتلي ... فميلاً إلى (المقياس) إن خفتما فقدى
ففي ذلك (الوادي) الذي أنبت الهوى ... شفائي من سقمي وبرئي من وجدي

وقال في هذا المعنى:

طال شوقي إلى الديار ولكن ... أين من (مصر) من أقام (بكندى) [1]
حبذا (النيل) حين يجرى فيبدي ... رونق السيف واهتزاز الفرند
تتثنى الغصون في حافتيه ... كالعذارى يسحبن وشي الفرند
قلدتها يد الغمام عقوداً ... هي أبهى من كل عقد وبند
كيف لا تهتف الحمام عليه ... وهي تسقي به سلافة قند
كلما صورته نفسي لعيني ... قدح الشوق في الفؤاد بزند

الحنين إلى الأهل والولد

وقال في منفاه وقد رأى في المنام ابنته الوسطى:

تأوب [2] طيف من (سميرة) زائر ... وما الطيف إلا ما تريه الخواطر
طوى سدفة [3] الظلماء والليل ضارب ... بأوراقه والنجوم بالأفق حائر
فيالك من طيف ألم ودونه ... محيط من البحر الجنوبي زاخر
يخطي إلى الأرض وجدا وما له ... سوى نزوات الشوق حاد وزاجر
ألم ولم يلبث وسار وليته ... أقام ولو طالبت على الدياجر
تحمل أهوال الظلام مخاطراً ... وعهدي بمن جادت به لا تخاطر
"خماسية [4]" لم تدر ما الليل والسري ... ولم تنحسر عن صفحتيها الستائر

---

(١) كندي مدينة صغيرة في جزيرة سيلان (سرنديب).

(٢) تأويب: أي أتى ليلاً.

(٣) السدفة: الستر.

(٤) أي بنت خمس سنوات.

فيا بعد ما بيني وبين أحبتي ... وبأقرب ما التفت عليه الضمائر
ولولا أماني النفس وهي حياتها ... لما طار لي فوق البسيطة طائر
فأن تكون الأيام فرقن بيننا ... فكل امرئ يوماً إلى الله صائر

إلى أن قال:

فلا يشمت الأعداء بي فلربما ... وصلت لما أرجوه مما أحاذر
فقد يستقيم الأمر بعد أعوجاجه ... وتنهض بالمرء الجدود العواثر
ولي أمل في الله تحيا به المنى ... ويشرق وجه الظن والخطب كاشر
إذا المرء لم يركن إلى الله في الذي ... يحاذره من دهره فهو خاسر
وإن هو لم يصبر على ما أصابه ... فليس له في معرض الحق ناصر
ومن لم يذق حلو الزمان ومره ... فما هو إلا طائش اللب نافر
على طلاب العز من مستقره ... ولا ذنب لي إن عارضتني المقادر

إلى أن قال:

فإن كنت قد أصبحت فل [1] رزية ... تقاسمها في الأهل باد وحاضر
فكم بطل فل الزمان شباته ... وكم سيد دارت عليه الدوائر
فسوف يبين الحق يوما لناظر ... وتتزو [2] بعوراء الحقود السرائر
وما هي إلا غمرة ثم تنجلي ... غيابتها والله من شاء ناصر
فق حاطني في ظلمة الحبس بعدما ... ترامت بأفلاذ القلوب الحناجر

***

فمهلاً بني الدنيا علينا فإننا ... إلى غاية تنفت فيها المرائر
تطول بها الأنفاس بهراً [3] وتلتوي ... على فلكة الساقين فيها المآزر

---

(١) فل: أي منهزم.

(٢) تتزو: تطمح يقال : نزا به قلبه طمح.

(٣) برحا بالضم تتابع الأنفاس من الإعياء في اللسان.

هنالــك يعلــو الحــق والحــق واضــح ... ويســـفل كعـــب الـــزور عـــاثر
وعمـــا قليـــل ينتهـــي الأمـــر كلـــه ... فمـــــا أول إلا ويتلـــــوه آخـــــر

يشيد بعظمة الأهرام

قال يصف (الأهرام) ويشيد بعظمتها:

سل (الجيزة) الفيحاء عن (هرمي) مصر ... لعلـك تـدري غيـب مـا لـم تكـن تـدري
بنـــاءان رداً صـــولة الـــدهر عنهمـــا ... ومـــن عجـــب أن يغلبـــا صـــولة الـــدهر
أقامـــا علـــى رغـــم الخطـــوب ليشـــهدا ... لبانيهمـــــا بـــــين البريـــــة بـــــالفخر
فكـم أمـم فـي الـدهر بـادت وأعصـر ... خلـت وهمـا أعجوبـة العـين والفكـر
تلـــوح لآثـــار العقـــول عليهمـــا ... أســاطير لا تنفـك تتلـى إلـى الحشـر
رمـوز لـو اسـتطلعت مكنـون سـرها ... لأبصـرت مجمـوع الخلائـق فـي سـطر
فمـا مـن بنـاء كـان أو هـو كـائن ... يـــدانيهما عنـــد التأمـــل والخبـــر

وختمها بقوله:

فيـــا نســـمات الفجـــر أدى تحيتـــي ... إلـــى ذلـــك البـــرج المطـــل علـــى النهـــر
ويـا لمعـات البـرق إن جـزت بـالحمى ... فصـــوبي عليهـــا بالنثـــار مـــن القطـــر
عليهـــا ســـلام مـــن فـــؤاد متـــيم ... بهـــا لا بربـــات القلائـــد والشـــذر [1]
ولا برحـت فـي الـدهر وهـي خوالـد ... خلـــود الـــدراي والأوابـــد مـــن شـــعري

شعر القتال

ومن قصيدة له في إحدى المعارك التي خاضها، ويبدو منها مبلغ شجاعته وصبره على أهوال القتال.

ولمـــا تـــداعي القـــول واشـــتبك القنـــا ... ودارت كمـا تهـوي علـى قطبهـا الحـرب

---

(١) الشذر: صغار اللؤلؤ.

وزيـــن للنـــاس الفـــرار مـــن الـــردي ... وما جت صدور الخيل والتهب الضرب
ودارت بنـــا الأرض الفضـــاء كأننـــا ... ســـقينا بكـــأس لا يفيـــق لهـــا شـــرب
صـــبرت لهـــا حتـــى تجلـــت ســـماؤها ... وإنـــي صـــبور إن ألـــم بـــي الخطـــب

الفساد في عهد إسماعيل

وقال من قصيدة يصف سوء الحكم وظلم الحكام في عهد إسماعيل، وينصح قومه بالمطالبة بحقوقهم والمبادرة بإصلاح شؤونهم قبل أن تسوء العقبى، وهي من شعره السياسي الوطني الرائع:

قامـت بـه مـن رجـال السـوء طائفـة ... أدهـي علـى الـنفس مـن بـؤس علـى ثكـل
مـن كـل وغـد يكـاد الدسـت يدفعـه ... بغضاً ويلفظه الديوان من ملل قواعد الملك
ذلـت بهـم مصـر بعـد العـز واضـطربت ... حتـــى ظـــل فـــي خلـــل

إلى أن قال:

فبـادروا الأمـر قبـل الغـوث وانتزعمـوا ... شـكالة الريـث فالـدنيا مـع العجـل
وطـالبوا بحقـوق أصـبحت غرضـاً ... لكـل منتـزع سـهماً ومختتـل
حتـى تعـود سـماء الأمـن ضـاحية ... ويرفـل العـدل فـي ضـفاف مـن الحلـل

الجيش والدستور

وقال في أوائل عهد الخديو توفيق يدعو إلى الشورى وتقويه الجيش:

أمـران مـا اجتمعـا لقائـد أمـة ... إلا جنـى بهمـا ثمـار السـؤدد
(جمـع) يكـون الأمـر فيمـا بيـنهم ... (شـورى) وجنـد للعـدو بمرصـد

يندد بالدسائس

وقال من قصيدة يشكو فيها من الدسائس التي كانت تحاك حوله:

نقمـــوا علـــى حميتـــي فتـــألبوا ... حزبـــاً علـــى وأجمعـــوا مـــا أجمعـــوا
وســـعوا بفـــريتهم فلمـــا صـــادفوا ... ســـمعاً يميـــل إلـــى المـــلام توســـعوا
لا عيـــب فـــي ســـوى حميـــة ماجـــد ... والســـيف يغلبـــه المضـــاد فيقطـــع

يحث على الاعتدال، ويستنكر الذل

قال في هذا المعنى:

إذا شـــئت تحيـــا ســـعيداً فـــلا تكـــن ... لـــدوداً ولا تـــدفع يـــد اللـــين بالقســـر
ولا تحتقـــــر ذا فاقـــــة فلربمـــــا ... لقيـــت بـــه شـــهماً يبـــر علـــى المثـــري
فـــرب فقيـــر يمـــلأ القلـــب حكمـــة ... ورب غنـــى لا يـــريش ولا يبـــري [1]
وكـــن وســـطاً لا مشـــرئباً إلـــى الســـهى ... ولا قانعـــاً يبغـــي التزلـــف للصـــفر [2]
فأحمـــد أخـــلاق الفتـــى مـــا تكافـــأت ... بمنزلـــة بـــين التواضـــع والكبـــر
ولا تعتـــرف بـــذال فـــي طلـــب الغنـــى ... فـــإن الغنـــي فـــي الـــذل شـــر مـــن الفقـــر

العودة إلى الوطن

وقد عاد إلى الوطن سنة ١٩٠٠ بعد أن فقد نور عينيه في منفاه، فاستقبل مصر بقصيدته التي مطلعها:

أبابـــل مـــرأي العـــين أم هـــذه مصـــر ... فـــإني أرى فيهـــا عيونـــاً هـــي الســـحر
فـــإن يـــك موســـى أبطـــل الســـحر مـــرة ... فـــذلك عصـــر المعجـــزات وذا عصـــر

---

(١) أي لا ينفع ولا يضر.

(٢) القانع هنا: السائل المتذلل، والصفر: الذهب.

إلى أن قال:

وإني امرؤ تأبى لي الضيم صولة ... مواقعها في كل معترك حمر
أبى على الحدثان لا يستفزني ... عظيم ولا يأوي إلى ساحتي ذعر

عبرة الحوادث

ومن قصيدة له قالها بعد عودته من المنفى تفيقض توجعاً لحالة البلاد بعد أن جثم الاحتلال على صدورها، وقد تذكر عندما مر بقصر الجزيرة أيام إسماعيل حين كان في أوج سلطانة، وما انتهى إليه أمره من خلع وخسران، وتذكر أخطاءه التي كان لها أثرها في التمهيد للاحتلال، فلم يترحم على عهده، ونظم هذه القصيدة معتبراً ومذكراً، وهي من آيات الشعر في العظة والاعتبار، وقال:

هل بالحمى عن سرير الملك من يزع؟ ... هيهات قد ذهب المتبوع والتبع!
هذي (الجزيرة) فانظر هل ترى أحداً ... يتأى به الخوف أو يدنو به الطمع؟
أضحت خلاء وكانت قبل منزلة ... للملك منها لوفد العز مرتبع
فلا مجيب يرد القول عن نبأ ... ولا سميع إذا ناديت يستمع
كانت منازل أملاك إذا صدعوا ... بالأمر كادت قلوب الناس تتصدى
عاثوا بها حقبة حتى إذا نهضت ... طير الحوادث من أوكارها وقعوا
لو أنهم علموا مقدار ما فغرت ... يد الحوادث ما شادوا ولا رفعوا
دارت عليهم رحي الأيام فانشعبوا ... أيدي سبا وتخلت عنهم الشيع
كانت لهم عصب يستدفعون بها ... كيد العدو فما ضروا ولا نفعوا

***

أين المعاقل بل أين الجحافل بل ... أين المناصل والخطية الشرع؟
لا شيء يدفع كيد الدهر إن عصفت ... أحداثة أو بقى من شر ما يقع
زالوا فما بكت الدنيا لفرقتهم ... ولا تعطلت الأعياد والجمع
والدهر كالبحر لا ينفك ذا كدر ... وإنما صفوه بين الورى لمع

لــو كــان للمــرء فكــر فــي عواقبــه ... مــا شــاب أخلاقــه حــرص ولا طمــع
وكيف يدرك ما في الغيب من حدث ... مــن لــم يــزل بغــرور العــيش ينخــدع
دهــر يغــر وآمــال تســر وأعــ ... ــمار تمــر وأيــام لهــا خــدع
يســعى الفتــى لأمــور قــد تضــر بــه ... ولــيس يعلــم مــا يــأتي ومــا بــدع

***

يــا أيهــا الســادر المــزور مــن صــلف ... مهــلاً فإنــك بالأيــام منخــدع
دع مــا يريــب وخــذ فيهــا خلقــت لــه ... لعــل قلبــك بالإيمــان ينتفــع
إن الحيــاة لثــوب ســوف تخلعــه ... وكــل ثــوب إذا مــارث ينخلــع

وظل البارودي بعد عودته من المنفى في عزلة من الناس، لا يجتمع إلا بالصفوة المختارة من الأدباء والشعراء والحافظين لعهده، إلى أن كانت وفاته سنة ١٩٤٠، فخلف مجداً لا يبلي على الزمان.